

مسابقة الادب العربي

٢- أخبار أبي تمام للدكتور زكي مبارك

أقول مرة ثانية ، وسأقول ألف مرة ، إن هذا الكتاب شغلني وألهاني عن المهم من شؤوني ، ولو كان الورق موجوداً على نحو ما كان قبل الحرب لجوت وزير المعارف أن يشير بتوزيعه على جميع التلاميذ ، ليخلق فيهم الإيمان بالأدب ، وليشعرهم بقوة الروح عند أسلافنا الأجداد

وقد كتب الأستاذ الجليل إسعاف النشاشيبي مقالا عن هذا الكتاب في مجلة الرسالة في أعقاب ظهوره ، فليراجع الطلبة مجموعات الرسالة^(١) بمكتبات المدارس الأميرية لينتفعوا بمجمول ذلك المقال

مدرس أبي تمام

نواجه الموضوع بعد تردد وتريب ، لأنه أخطر من أن يدرس بمثل هذه السرعة في الدرس ، ولأن أبا تمام أعز من أن نطوف بأشعاره متعجلين

كانت النية أن أولف كتابا عن عبقرية أبي تمام بعد كتاب عبقرية الشريف الرضي ، ولهذا حججت إلى قبرة بالموصل لأسلم عليه ، فعليه وعلى روحه الفنان ألف تحية وألف سلام !

وهل أنسى ما صنعت مع هذا الشاعر قبل سنين تزيد على العشرين ؟

أنا أذكر أن في كتاب البدائع حديثا هو عتاب على الحكومة العراقية في اهتمامها بقبر أبي تمام ، وإغفالها نشر ديوان أبي تمام بصورة تليق بمكانته في التاريخ الأدبي

ويظهر أنني أقول أكثر مما أقول ، فقد مضت أعوام ولم أؤد الواجب نحو هذا الشاعر العظيم ، فلم يبق إلا أن أرجو مدير جامعة فاروق الأذل أن يعنى الأستاذ محمد عبده عزام من التدريس

(١) السنة الخامسة ، العدد ٢٢٥ من ١٢٥٦ ، والسنة السادسة

سنة أو سنتين ليصحح ديوان أبي تمام تصحيحاً يرفع عنه آصار اللبس والتحريف

ولأني تمام علينا حقوق ، فقد نشأ بمصر ، وتنسم هواء القسطنطين ، وسمع من علماء مصر بجامع عمرو ماسع ، فنبغ روحه نبوغا سيقى على الزمان إلى أبعد الآماد وأين الموضوع الأسيل ؟

أراني أهرب من مواجهته ، كأنه فوق ما أطيق ! أنا أريد أن أقول إن لأبي تمام مدرسة شعرية ، وهي المدرسة الثانية في الأدب العربي ، وهي أوضح من المدرسة الأولى ، والكلام هنا مقصور على العهد الإسلامي ، أما العهد الجاهلي فله مدرسة يختصم في رباعيتها شاعران عظيمان ، هما زهير ولييد ، ومع احتراي لزهير صاحب الخواص فأنا أعظم أن معلقة لييد هي أعظم قصيدة جاد بها الروح العربي ، وأما أتعجب من أن يتناسى مؤرخو الأدب منزلة لييد مع أنه أعظم من امرئ القيس بمراحل طوال

أترك هذا الاستطراد وأذكر أن المدرسة الأولى في العصر الإسلامي كان فيها فصلان أساسيان : أحدهما خاص بالثورة على الأخيلة البدوية بإشراف أبي نواس ، وثانيهما خاص بالفرن الشعرى بإشراف بشار ، وهو أعظم الفئتين بين القدماء ولا موجب للنص على منزلة مسلم بن الوليد ، فهي أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح ، فقصيدته الدالية هي أشرف ما جاد به عصر بشار وأبي نواس

ومسلم بن الوليد هو الصورة التي تأثر بها أبو تمام ؛ فقد حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام وضع المصحف بين يديه وأقسم أن لا ينال طعنا ولا شرابا إلا بعد أن يحفظ ديوان مسلم بن الوليد

ومن مجد مصر أن ديوان هذا الشاعر نُشر أول مرة في مدينة دمياط

أبو تمام العربي

أراد ناس أن يشككوا في عروبة أبي تمام ، ونسبوا

الدكتور طه حسين ، والدكتور طه رجل منصف ، ولهذا أرجوه أن يسمع حديثي

التشكيك في نسب أبي تمام بدعة قال بها المتأخرون من المستشرقين ، وهي بدعة لا تستند إلى أي برهان ، فقد أجمع القدماء على أن أبا تمام هو الطائي الأول وأن البحترى هو الطائي الثاني

أبو تمام العربي هو رئيس تلك المدرسة الشعرية ، وهو الرئيس الذي عجز عن مجاراته ابن الرومي

شعر العرب للعرب ، فما ابن الرومي وما شعره وقد عجز عن الظفر بالموسيقا الشعرية ؟

أبو تمام العربي هو رئيس المدرسة الثانية في العصر الإسلامي ، وقد جعل شعره وصلصل ، وامتد صوته إلى آفاق يعجز عن اجتيازها الخيال

وأبو تمام مظلوم أقبح الظلم في هذا الزمن الظالم ، فقد قال أحد الناس إن شعره من رأسه لا من قلبه ، وقال آخرون إن شعره خال من تعدد الألوان

والحق كل الحق أن فن أبي تمام جنى عليه ، فقد تصوره بعض بني آدم رجلاً لا يحسن غير التتميق ، مع أن صياغته الروحية تفوق صياغته الفنية ، ومع أن معانيه فوق ألفاظه بمراحل بعيدة ، وإن اشتهر بزخرفة الألفاظ

هذا الرجل زلزل معاصريه وأوقعهم في فتن دامية ، ولم يمت إلا بعد أن مرغ خصومه وأرداهم أعنف إرداء

حدثنا الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية أن أبا تمام أدخل ثلثمائة شاعر في زمانه بلا قصد وبلا نية ، لأنه كان نصيراً لجميع الشعراء ، فما قال قائل إن هذا الشاعر العظيم وجه إلى أحد معاصريه أي إيذاء ، لأنه كان غنياً بفضل كما قال أستاذنا محمد المهدي

وروح أبي تمام خلق دولة من الأدب ، ولله السبب في قتل الشريف الرضي وأبي الطيب المتنبي ، فقد أراد هذان الشاعران أن يحملا اسمه بجهود عنيفة لا يستطيعهما إلا من يكون في مثل قوة الرضي والمتنبي

وأنا متردد في الفصل بين هؤلاء الشعراء ، فالشريف الرضي كانت له غاية واضحة هي السيطرة على الخلفاء في بغداد ، والمتنبي كان يريد أن يظفر بمكانة في الديار المصرية ، كأن يكون خليفة دعبيل في مدينة أسوان

لم يلتفت أبو تمام إلى شيء من أعراض الدنيا الفانية أو الباقية ، وإنما التفت إلى الفن الشعري ليرقم اسمه فوق جبين الخلود

أبو تمام مظلوم ، فما التفت أحد إلى شعوره بالحياة ، ولا عرف أحد أن اهتمامه بالألفاظ لا يقاس إلى اهتمامه بالمعاني والجاهلون من مؤرخي الأدب العربي لا يعرفون إلا سمة واحدة من سمات أبي تمام ، وهي غرامه بالزخرف اللفظي ، مع أنهم سمعوا أنه كان من رجال المعاني ، بدليل أنه صنف « ديوان الحاسة » تصنيفاً يشهد بأنه من أصحاب الأذواق .

إلى طلبة السنة القوميرية

أنا تميت في توجيهكم يا أبنائي ، ولا يميزني إلا الشهور بأنكم ستنتهبون جوائز وزارة المعارف

هذه المقالات هي المفتاح للخزانة التي يحرسها جنود صناديد ، وقد كسرت تلك الخزانة بيدي لأقدم إليكم أسئلة الامتحان ، ولوزير المعارف أن يمانيني على إذاعة أسئلة الامتحان

تذكروا ثم تذكروا أنكم ستسألون عن مدرسة أبي تمام الشعرية ، وأنكم ستسألون عن العصر الذي عاش فيه أبو تمام ، وأنكم ستسألون عن شعور أبي تمام بروح الوجود

لا تخافوا من الأسئلة ولا من الأجوبة ، فالمصححون آباؤكم الروحيون ، وهم سيفرحون بالقليل من الصواب ، ولو جاء في سطرين اثنين

وزارة المعارف تنتظر من ينهب جوائزها الغالية ، فأنهبوها ، انفرح بكم ، كما فرح الطائر الذي تحدث عنه ميسيه في إحدى قصائده الخوالد . إنهبوا وزارة المعارف ، أنهبوها ، فهي تشتهي أن تنهبوها ، وما تحب وزارة المعارف إلا أن يكثر الطامعون في جوائزها الغالية .

نكح مبارك